الدراسة العربية «بكيرالا»

للاستاذ ابى الصلاح

«كيرالا ولاية صغيرة فى جنوب الاتحاد الهندى، و تقع فى ساحل البحر العربى، و يبلغ عددسكانها حوالى أربعة عشر مليون نسمة، و فيها مناظر طبيعية جذابة و مصادر تجارية عديدة حيث تجذب أنظار التجار والسواح اليها و يرجع تاريخ صلاتها الوثيقة مع البلاد العربية إلى عصور بالغة فى القدم، فقد كانت جماعات من العرب تفد إليها لأغراض تجارية، و أصبحت تلك الرابطة تتقوى شيئا فشيئا و العلاقات الودية بين الأمتين اى الهندية و العربية بدأت أن تتوطد بمقتضى العمران و الارتقاء، حتى أشرقت فى أفق البلاد العربية شمس الاسلام، و انتشرت أشعة أنوارها إلى الآفاق و أعماق الصدور، ولم يلبث ان جاء قبس منها إلى كيرالا فى العصور الأولى لظهوره، فقد لقى هناك جوا ملائما ليترعرع فى أراضيها الخصبة حتى قيل هى أول بقعة أشرقت بنور الاسلام فى القارة الهندية.

وقد أثبت بعض المؤرخين المحققين أن قدم الاسلام قد وطئت أرضها فى أوائل عصر خلافة عمر بن الخطاب، ووصل المسلمون العرب إليها مع نسائهم و أولادهم فوجدوا فيها استقبالا حارا وترحيبا وديا من مواطنيها الأصليين، و أسدوا إلى هؤلاء الضيوف الكرام جميع أنواع التسهيلات و المساعدات اللازمة، و استوطنوا فى أرجائها، وفى ممرالأيام قد أصبحوا أداة فعالة لانتشار الاسلام فى ربوعها، و نرى الآن فى كيرالا أكثر من مليونين و نصف مليون مسلم.

و كان المسلمون العرب يحملون معهم ثقافتهم و لغتهم إلى كل بقعة [illegible]

الأديان الأخرى ودخلت فى الاسلام عناصر جديدة تحمل معها ثقافة بلادها الخاصة و نتجت منها شبهات ومناقشات حول بعض المسائل الاسلامية فنشأ علم الكلام و الجدل .

و اضطروا إلى معرفة مسائل المنطق وأقوال الفلاسفة فى الموضوعات التى لها اتصال بالاسلام ، و من هنا أضيفت علوم جديدة للمجتمع الاسلامى سوى العلوم العربية والمسائل الشرعية المستنبطة من القرآن و الحديث ، و كانت معرفة القرآن و فهم حكم تشريعه و فهم أحاديث الرسول و الدفاع عن العقيدة الاسلامية وما تفرع عليها ، و كل هذا و ذاك دفع المسلمين إلى أن يتوسعوا فى العلوم و الفنون ، فاتسعت فيهم دائرة المعارف الاسلامية شيئا فشيئا .

و من هنا نشأت الدراسات العديدة و اشتهر علماء من العرب وغيرهم من الذين تخصصوا فى العلوم العربية و الاسلامية ، وكان المسلمون من غير العرب أكثر إقبالا على هذه الدراسات و نبوغا فيها من غيرهم لشدة حاجتهم إلى آلات الفهم و إلى استيعاب العلوم التى جاء بها الاسلام و لهذا نجد عددا كبيرا من فطاحل العلماء المسلمين ينحدرون من اصل غير عربى .

هذا وقد أسسوا فى كيرله منذ استيطانهم فيها المساجد و المعاهد لاقامة الشعائر الدينية و لتعليم اللغة العربية و الكتب الدينية و سائر العلوم و الفنون و أهمها شأنا و أعظمها أثرا الجامع المعروف بمدينة « فنان » وأسسه الشيخ الجليل الوقور زين الدين المعبرى و أصبح على مر الدهور منار هدى و منبع علم و فضل و خرج فطاحل العلماء الذين تبحروا فى الآداب العربية و الثقافات الشرقية و انتفع به الشرق الاسلامى . و قدمت

إليها وفود الطلاب ليتفقهوا فى الدين ويتزودوا من علومه وآدابه وينابيعه الفياضة .

و تبعه عدد كثير من الجوامع و المدارس العربية تقدم بنشر اللغة العربية و العلوم الاسلامية فى البلاد ، و لقد مرعلى هذا المعهد المبارك و تلك الجوامع و المدارس أدوار فتور و غفلة ، و انتابها من خطوب و حوادث لما فى طرق التعليم من سقم و فى مناهج التدريس من عقم حيث إنها لم تكن تساير مع التطورات الحديثة و ذوق الزمن و حاجة القوم . و لقد أتى عليها حين من الدهر أصبحت فيه فى شبه عزلة عن العالم الخارجى و قد حادوا عن طريقة سلفهم ، ولم يتطوروا مع تطور الزمن ولم يطبقوا مناهج التعليم مع الحاجة العصرية الحديثة ، حتى قامت جماعة من العلماء و الأدباء المخلصين و تنبهوا إلى ما طرأ من فتور فى ميدان الدراسة العربية و العلوم الاسلامية فى البلاد . و قرروا لانشاء مدارس و كليات عربية ، تجرى وفقا للمناهج الحديثة للتعليم و بادراج مواد عديدة عصرية و لغات أجنبية فى برامجها الدراسية حتى تستطيع كيرالا تجديد مكانتها القديمة واستئناف صلاتها المعنوية مع العالم العربى إلى جانب الصلات المادية المتزايدة يوما فيوما فى شتى الميادين . فأسست عدة كليات عربية . و منها الكلية العربية « روضة العلوم » الموسسة سنة ١٩٤٢ م و الحقت بجامعة مدراس . و كان هدفها الأول نشر العلوم الاسلامية و تدريس اللغة العربية و آدابها . هذا إلى جانب سائر العلوم و الفنون العصرية ، و بذل عدد من المصلحين و ذوى المقدرة المالية و العلماء و الأدباء مساعى جميلة فى سبيل النهوض بهذه الكلية العربية حتى تكون منارا للعلم و الأدب العربى لافى ربوع كيرالا فقط بل فى سائر أنحاء الهند العظيمة .

و تقع كلية « روضة العلوم » فى بقعة فسيحة جميلة المنظر فى بلدة « فاروق » بقرب « كاليكوت » تحتوى هذه الكلية على مآت الطلبة و عشرات الأساتذة . و تدرس فيها علوم القرآن و الحديث و علوم اللغة و الأدب و علوم اللسان و البلاغة و علوم الفقه و العقائد و علوم التاريخ و الفلسفة و الرياضة و علم الاقتصاد و اللغات الوطنية و اللغة الانجليزية بطريقة حديثة ، و مما يستعاد إلى الأذهان أن لغة التدريس فيها العربية الفصحى فالكلية من هذه الناحية وحيدة فى بابها . و ممتازة عن المعاهد العربية الدينية الأخرى فى الهند ، و مؤسسها و عميدها الحالى فضيلة الأستاذ أبو الصباح أحمد على من خريجى الجامع الأزهر بالقاهرة ، و نرى فيها طلابا من شتى أنحاء الهند و من بعض البلدان الخارجية ، و ينال منها الطلاب بعد إتمام مدة الدراسة شهادة « أفضل العلماء » الجامعية .

و هناك أيضا عدد من الكليات العربية تابعة لجامعة كيرالا تجرى على منهج دراسى جديد ، و تخدم الآداب العربية ، و منها الكلية العربية « مدينة العلوم » « ببلكل » و كلية « سلم السلام » « بأريكوت » و الأخيرة تهتم بتعليم البنات اهتماما بالغا . و من بواعث الغبطة و السرور أن عشرات من البنات تخرجن منها فى السنين الأخيرة حاملات الشهادة الجامعية « أفضل العلماء » و ان الذى يتخرج من إحدى هذه الكليات الثلاث يحمل شهادة « أفضل العلماء » مستحق لوظيفة الأستاذ العربى فى الجامعات الحكومية و تعادل شهادته هذه مع الشهادات الجامعية الأخرى لمختلف اللغات . و اذا حصل الطالب على شهادة جامعية فى الانجليزية أيضا إلى جانب « أفضل العلماء » فيكون نورا على نور فيستحق لأن يعين فى منصب « أستاذ

الكرسى » فى الجامعات . و يبلغ مرتبه الشهرى إلى درجة مرتبات أساتذة الجامعات أصحاب الكراسى . و ان الحكومة تسدى بجميع أنواع التسهيلات و المساعدات الممكنة لرقى هذه المعاهد و الكليات العربية بسبيل دفع المنح الدراسية و الاعتراف بشهادتها و قبول خريجيها فى جامعاتها .

هذا بالاضافة إلى عدد كبير من المدارس الأهلية و الخيرية تجرى على التبرعات و خيرات أصحاب الطول و الأثرياء الكرام . ولا تخلو قرية من قرى كيرالا إلا و فيها مدرسة عربية أو جامع تدرس فيه الآداب العربية و من الجمعيات الخيرية التى تقوم بكفالة اليتامى و تعليمهم « جمعية الدعوة و التبليغ » التى أسست لتربية الأطفال الذين أصبحوا يتامى بدون مأوى ولا ملاذ أيام الثورة الاستقلالية المليبارية التى اندلعت ضد الحكومة الانجليزية سنة ١٩٢١م فأصبح آلاف مسلمى كيرالا عرضة لاضطهاد الحكومة الانجليزية بوسائل الفتك و الخنق و النهب و الهدم و السجن و الإجلاء عن الوطن و مصادرة الأموال بالجيوش المسلحة الجرارة حيث تركت ورآءها مآت من الأيتام و الأرامل و النكباء و البؤسآء حيث لامسكن لهم ولاملجأ ولا كفيل لهم ولا مغيث . يجولون فى الطرق و الشوارع متضورين جوعا و عطشا يلتمسون لقمة تسد الرمق و كسوة تسترالعورة . فقام بتأسيس تلك الجمعية مولانا عبدالقادر القصورى و ابناه الجليلات مولينا محى الدين أحمد القصورى و المرحوم محمد على القصورى . و أنفقوا فى سبيلها جهودا جبارة . و بنوا مركزها فى بقعة طيبة قريبة من مدينة « كاليكوت » التى هى مركز المهاجرين العرب الأول فى القارة الهندية . أوت إليها مآت من الأيتام و الضعفاء وقامت بتربيتهم و تهذيبهم و بكل مايلزمهم

من المأكل و الملابس و العلاج و التعليم . و فتحت لهم مدرسة تحت إشراف الحكومة . و هذه المدرسة تهتم اهتماما بالغا بتعليم اللغة العربية و نشر الآداب الشرقية فى البلاد . ويزورها حينا فأخر وزراء الحكومة ورؤساء الجامعات و كبار السياسة و العلماء و الأدباء .

و منها مدرسة « نورالاسلام » ببلدة « ترورنغادى » التى هى تضم عددا كبيرا من الطلاب و الطالبات . و الحقت بها دارللايتام تقدم بجميع أنواع المصاريف للمنتمين إليها من الأكل و الشرب و الملبس و المسكن و ما إلى ذلك .

و مما هو خليق بالذكر أن الحكومة الهندية تعتنى بهذه الجمعية الواقعة « بترورنغادى » اعتناء بالغا و تصرف لها مبالغ لا بأس بها على سبيل المنح الدراسية ، و الاعانة للايتام . وجدير بالاشارة فى هذه المناسبة أن جلالة الملك سعود ملك المملكة العربية السعودية قد تبرع قبل شهور بمبلغ هائل من جيبه الخاص لهذه المؤسسة و بنيت فى ترورنغادى الآن مدينة للطلاب باسم « سعوداباد » .

وما هذه إلا جولة سريعة حول الدراسة العربية و التدابير التى اتخذتها الحكومة و الأهالى فى نشر الآداب العربية و العلوم الشرقية فى ولاية كيرلة ولاشك أن هذه الخطوات المباركة لتكون عونا على توثيق عرى الصلات الودية القائمة بين الهند و العالم العربى أكثر فأكثر .